شفاء الروح

لصاحب العزة محمود بك تيمور

أخي المؤمن:

قصارى ما يطمح إليه فؤادك أن تكون سعيداً، وإنك لتسعى جاهداً غير وان، باذلا كل مرتخص وغال، لا قية لك إلا أن تحظى بتلك السعادة المنشودة.

ولكنك تظن نفسك إن عددت السعادة فيما يتراءى لك من عروض الحياة، كالغنى والجاه. فهذه العروض التي يستعصى عليك منالها، والتي تحسب الظير أجمع فيها، ربما كانت هي باعثة الشقاء، ومدعاة العذاب.

وأنت فقد تجاهد وتجالد، حتى تبلغ ماربك من هذه العروض، وما هي إلا أن يتجلى لك ما خفى عنك، فتعرف بعد لأي أنك كنت مخدوعاً تظن السراب ماء، وأن الغنى والجاه وما إليهما من مظاهر الحياة إنما هو زيف زائل وزخرف باطل.

ويوم تقف على القمة بعد أن صعدت في السلم الذي استهواك، ترى أنك لم تظفر من جوهر السعادة بطائل، وأن من حولك غيوم الحياة وظلماتها مطبقة عليك، وأنك لم تنكشف عنك البأساء والضر...

ولو سمت نفسك إلى أن تستكنه سر ذلك، لعلمت على يقين أن الظهر قد غرك، فقعدت أثره، واسترسلت في طلبه، فلم تعن بالجوهر والباب!

أخي المؤمن:

إن للسعادة لنبعاً فياضاً هو «الروح»...

فمن تنكب عنه، لم يظفر برشفة منه، ولو أدلت إليه السماء بأسباب، ومن فطن له بلغ السعادة من أقرب باب!

ولا تبلغ الروح هذا المبلغ من إسعاد الإنسان إلا إذا توافر لها الصفاء والنقاء، فإذا هي تشف وتخف، وإذا هي تسمو إلى آفاق علوية ترفعت عن الشوائب والأدران.

فهل لي أن أكاشفك بما أسميه «تجربة» أو «وصفة» تنيلك ما تريده لروحك من صفاء وتطهير، حتى تصل إلى شفاء النفس وتتوافر لك السعادة الخالصة؟

لست أجيزك بما يروعك سماعه، أو يعييك فهمه، أو يتعاصى عليك إنفاذه...

إنها وسيلة بالغة الشيوع، قريبة التناول، بيد أن الناس قلما يلتفتون إلى سرها العظيم، وأثرها الناجع، فهم لا يتخذونها على النحو الذي يحقق تلك الغاية النالية...

أخي المؤمن:

أنصحي إليك أن تضع مصحفاً فوق وسادك، لا تتخذه تميمة من التمائم، ولا تعويذة من التعاويذ... وإنما تتخذه نبعاً فياضاً تستقي منه لروحك صفاء، ولنفسك شفاء!

ليكن من دأبك في إصباحك ألا تقع عينك أول ما تقع إلا على هذا الكتاب الخالد، فترتل منه ما تيسر وأملأ سمعك بتلك الآيات البينات، تمتلك بسحر البيان، وروعة الإيقاع؛ واترك حكمتها البالغة تسري في وليجة نفسك، فتضيء من جوانبها ما أظلم، وتجلو منها ما صدىء، فإنك لا تلبث أن تحس روحك قد انسكب عليها فيض يكفل لها الطهر، ويثير فيها الانتعاش...

أنعم بذلك بدءاً لنهارك الوضاح!

لتصبحن وقد شاع في أسارير وجهك بشر، وامتلأت نفسك بالثقة، ولتقبلن على عملك ناشطا في تيمن وانشراح

وليكن كذلك من دأبك في ليلك أن يكون ذلك المصحف آخر ما تقع عليه عينك قبل أن تسلم أجفانها للمنام، فترتل من آي القرآن ما وسعك أن ترتل، تطهيراً لنفسك مما علق بها من